من الكلام وإن لم يجد موضعه من الحادثة ؛ فان رأى الباحث شيئاً من ذلك فلا يداخله الريب فيما أثبتّ من الحقيقة التي أرويها كما أعرفها

وسيجد في بعض الرسائل حديثاً وشعراً عن لبنان وأيام لبنان ؛ وما عرف الرافعي صاحبته إلا في مصر وإن كان مولدها هناك . فليعلم من يريد أن يعلم ، أن صاحبة الرافعي هذه لم تكن هي أولى حبائبه ، وقد كان له قبل أن يعرفها في الغرام جولان ؛ وكان بعض من أحب قبلها فتاة أدبية عرفها في لبنان ، وهي تسمية صاحبتنا هـذه ؛ وكان بينهما رسائل أثبت الرافعي بعضها في « أوراق الورد » ، ومن أجلها أنشأ الرافعي كتابه « حديث القمر » ، على أن عمر الحب لم يَطُل بينهما ، إذ تزوجت وهاجرت مع زوجها إلى أمريكا لتشتغل بالصحافة العربية هناك — وما تزال — فما جاء في رسائل الأحزان من حديث لبنان وذكر أيام هناك ، فهو بقية من ذكرى صاحبة « حديث القمر » أقحمه في رسائله حرصاً عليه وبخلا به على الضياع

* * *

لقد كان حب الرافعي الأخير حادثة في أيامه فعاد حديثاً في فكره ، ورسائل الأحزان هي أول ما أنشأ من وحي هـذا الحب ؛ على إن قارئه يقرؤه فما يعرف أهو رسالة عاشق ألحّ عليه الحب أم زفرة مبغض يتلذّع بالبغض قلبه ؛ والحق أن الرافعي أنشأه وهو من الحب في غمرة بلغت به من الغيظ والحنق أن يتخيل أنه قادر على أن يبغض من كان يحب ، بغضاً يرد عليه كبرياءه وينتقم له ؛ فما فعل إلا أن أعلن حبه في أسلوب صارخ عنيف كما تحنو الأم على وليدها في عنفوان الحب فتمضه وإنها لتريد أن تقبله ، أو كما تقسو ذراع الحبيب على الحبيب تضمه في عنف وما بها إلا الترفق والحنان ... !

وطبع الرافعي كتابه وأنفذه إلى صاحبته ، فكتبت إليه ... وثارت ثورة الرافعي مرة ثانية فأصدر « السحاب الأحمر »

« شبرا » محمد سعيد العريان

* * *

إلى الآنسة الأديبة أمينة شاكر فهمي بالجيزة ، وإلى الصديق الكريم محمد الخالد توفيق ببني مزار : لأشكر لهما رأيهما فيما أكتب عن أدب الرافعي ، ولأثني على براعتهما في الاستنباط وتوفيقهما في معرفة اسم صاحبة الرافعي

مقالات إسماعيلية

لأستاذ جليل

— ٩ —

(فصل) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من عرف نفسه عرف ربه) وقال عليه الصلاة والسلام : (عرفت ربي بربي) أشار إلى أنك لست أنت إنما هو أنت بالهوانت لا هو داخل فيك ، ولا أنت داخل فيه ، ولا (هو) خارج منك ، ولا أنت خارج منه . وما عنى بذلك أنك موجود وصفتك هكذا بل عنى به أنك ما كنت ولا تكون إلا بنفسك لا هويتك المضنونة هي العدم ، فأنت لا فان ولا موجود . أنت هو وهو أنت بلا علة من هذه العلل ، فإن عرفت وجودك هكذا فقد عرفت الله تعالى وأكثر العارفين (أضافوا [1]) معرفة الله تعالى إلى فناء الوجود وإلى فناء فنائه (فهذا [2]) إثبات الشرك ؛ فإن معرفة الله تعالى (لا) تحتاج إلى فناء الوجود ، ولا إلى فناء فنائه ، ولا شيء لا وجود شيء ، وما لا وجود (له) لا فناء له ، فإن الفناء لا يكون إلا بعد إثبات الموجود ، والوجود الإضافي عدم ، والعدم لا شيء ، فإن عرفت نفسك بلا وجود ولا فناء فقد عرفت الله تعالى . قال السيد راشد الدين (علينا منه السلام) : « لولانا [3] بشهوتنا للاشياء لما كان إلا الله ولا شيء سواه . وفي إضافة معرفة الله تعالى (إلى) فناء الوجود وإلى فناء فنائه إثبات الشرك ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من عرف نفسه عرف ربه) ولم يقل من أفنى نفسه عرف (ربه) فإن إثبات الغير تناقض فنائه ، وما لا يجوز ثبوته لا يجوز فناؤه ، ووجودك ووجوده لا شيء لا يضاف إلى شيء . أشار عليه الصلاة والسلام إلا أنك معدوم كما كنت قبل متكوناً التقدر [4] فلا أن الأزل والأبد والله تعالى (موجودون) هو وجود الأزل والأبد ، وذات جميع الموجودات والوجود ولو لم يكن كذلك ما كان إلا الله وحده بنفسه لا يوجد الله تعالى فيكون رباً ثابتاً وهو محال ، فليس لله تعالى شريك في ملكه ولا ند ولا كفؤ . ومن (جعل) لا شيء مع الله وهو محتاج إلى الله فقد جعل ذلك

(١) ، (٢) هاتان الكلمتان زيدتا إذ لا بد من ذلك ، وفي هذا الفصل تحريف كثير مفسد (٣) لولا أنا (٤) كذا

الشيء شريكا له لأنه محتاج إليه . ومن توهم موجوداً سواه قائماً به ثم يصير فانياً [1] فناءه ويصير فانياً فى فنائه فتسلسل الفناء بالفناء شركا بعد شرك . ومن كان هذه معرفته فهو مشرك لا عارف ، والعارف بالله وبنفسه هو الذي يعلم أن الله كان ولم يكن معه شيء وهو الآن كان ، فإن قيل : إن النفس ليست هى الله ولا الله تعالى هو النفس ، قلنا : إن النفس هى وجودك وحقيقتك إلا النفس اللوامة والأمارة والمطمئنة . وأشار النبي صلعم الى الأشياء الموجودة فقال عمّ (ربى أرنى الأشياء كما هي) وعني بالأشياء كما توهّم أنها غير الله (تعالى) أى عرفنى ما سواك من سائر الأشياء لا أعلم هل هي أنت أم غيرك ؟ وهل هي قديمة أم باقية أم فانية ؟ فأراه الله ما سواه ، فإذا هى نفسه بلا وجود ما سواه ، فرأى الأشياء كما هي ، أعنى رأى الأشياء ذات الله بلا كيف ولا أين لأنه هو تعالى هوية الكل بالحقيقة ، واسم الأشياء يقع على النفس من الأشياء ، فإن وجود النفس ووجود الأشياء شيئان فى المشيئة التى عرفت الأشياء وعرفت النفس ، ومتى عرفت النفس عرفت الرب ، لأنه الذى تظن أنه غير الله ليس هو سوى الله ، ولكنك ما تعرفه وأنت (لا) تراه ، ولا تعلم أنك هو فإذا عدّمت إياك فى ذاته بذاته لذاته علمت أنه كنه مقصودك وغاية مطلوبك وعلمت أن « كل شيء هالك إلا وجهه » أعنى لا موجود إلا هو وجود لغيره مع وجوده فيحتاج (كل شيء) إلى الهلاك ، ويبقى وجهه أعنى لا شيء إلا وجهه ، أعني لا نفس إلا نفسه ، ولا وجود إلا وجوده ، كذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم (لا تبنّ الدهر فإنّ الله [2]) أشار بذلك لا وجود للدهر ، وجود الله تعالى ووجود جميع الكائنات وجوده ؛ ليس للأشياء من ذاتها إلا العدم جداً ووجودك ووجوده لا إله إلا الله وأنا لا أنا هو كما وجب وجوده وجب عدم ما سواه ، فان الذى تظن أنه غيره ليس هو غيره إذ لا وجود مع وجوده أنى وجوده ظاهراً وباطناً ، ومن مات موتاً معنوياً عدمت ذاته وصفاته ، وكذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم (موتوا قبل أن تموتوا) أى : اعرفوا نفوسكم واعرفوا ذاتكم العديمة لتعاينوا عين الهوية الحقيقة ، وكانت كل حالة لله تعالى لأنه كان هو ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يزال العبد يتقرب بى [1] بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها) لأن حركاته وأفعاله كلها لله تعالى لا له فالذى عرف نفسه يرى وجود ذاته بل كان جاهلاً بمعرفة وجوده ؛ فمتى عرفت نفسك ارتفعت فى عينيك وعرفت أنك لم تكن غير الله تعالى . وحقيقة معرفة النفس أن تعلم (أن) وجودك ليس بموجود ولا معدوم ، فانك لم تكن كائناً ولا كنت ولا تكون تعرف معنى قوله : (لا إله إلا الله) ، ولا وجود لغيره ولا غيره سواه ، لا إله إياه ، وليس هذا بل بتعطيل الربوبية لأنه لم يزل رباً ولا مربوباً ، ولم يزل خالقاً ولا مخلوقاً ، خلافيته وربوبيته لا يحتاجان إلى مخلوق ، ولا إلى مربوب ، ووجود الأشياء كان الله ، ولا شيء سواه ، وهو الآن ولا شيء سواه ، فوجود الموجودات وعدمها شيئان فلا هو إلا هو ، وما سواه عدم والسلام

(* * *)

(١) فانيا (٢) لا ريب فى تصحيف هذا القول المنزو إلى النبي (صلوات الله عليه) وتحريفه . وصحته : (لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر) وهو فى (مسلم) عن أبى هريرة

(١) إلى

الطرائف الأدبية

مجموعة من الشعر تتألف من قسمين

القسم الأول : ديوان الأفوه الأودى وديوان الشنفرى وتسع قصائد نادرة

والقسم الثانى يشتمل على : ديوان ابراهيم بن العباس الصولى والمختار من شعر المتنبي والبحتري وأبى تمام للامام عبد القاهر الجرجانى

صححه وخرجه وضبطه

الأستاذ عبد العزيز الميمنى

طبعته لجنة التأليف والترجمة والنشر فى نحو ٣١٠ صفحة وثمنه خمسة عشر قرشاً عدا أجرة البريد

ويطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر بدارها رقم ٩ بشارع الكرداسى بعابدين بمصر والمكاتب الشهيرة